

حسین مہنا

عقلمندانِ سرحد

شعر

۱۹۹۳

عوض یسٹرد صباہ

حسین مہنا

عوض یسترد صباہ

شعر

جميع الحقوق محفوظة للشاعر

١٩٩٣

صمم الغلاف الفنان

فوزي ناصر - الناصرة

طُبِعَ فِي مَطْبَعَةِ أَبُو رَحْمُونَ - عكا

لعنة الصمت

ناموا..

فأني قد كرهتُ غطيظَ قِطِي الكسولة،
واسترحتُ بأنْ نزعْتُ الصِّمْتِ مِنْ جَفْنِي،

وانتفضت شراييني على صمتي

وحزني صارَ أفراحًا،

وأسرابًا مِنَ الطيرِ المُقيمِ،

فلا يهاجرُ في ربيعٍ أو خريفٍ.

ناموا..

أسرَّتْكُمْ مِنَ الأبنوسِ

والزردِ المُفضَضِ،

فرشُكم ريشُ النعامِ

ولا ينغصُ صفوكم همسُ البعوضِ المستفزِ،

ولا يورقُ نومكم بابٌ يرجُ معَ الرياحِ،

ولا شبابيكُ مخلعةٌ تُصفقُ... أو صريفُ.

ليلُ المخيمِ باردُ الأعطافِ،

- مايسترو - مستطيلُ الظلِّ والقدمينِ،

يأتي صادقُ الميعادِ،

يأتي ثابتَ الأبعادِ والأوصافِ،

يعزفُ غُربتي لحناً على قيثارةِ الجُرحِ القديمِ،

فما تقولُ الرِّيحُ؟ : لا ليلٌ يجيُّ بِبِسْمَةِ الصُّبْحِ

الرَّحِيمِ ولا الجراحُ تجيُّ بالموتِ الشفيفِ.

ظمًا يطوقُ جيدي المرهونَ للذبحِ المحقِّقِ - لا يضيرُ -
أقولُ : إنِّي قد قرأتُ الحكمَ بالإعدامِ رمياً بالهوانِ
على جدارِ مدينتي. فلعنْتُكمُ وعشقتُ موتي. وهجرتُكمُ
أبغى الحياةَ كريمةً. فاسترسلوا في نومكم.. هذي
مهاراتي مُحملةٌ بلؤلؤِ ثورتِي. ودمي ينزُّ مع الرصاصِ
يسيلُ أعراساً على حجرٍ ويروي جذرَ داليةٍ تشبَّثَ
بالترابِ الآدميِّ يصيحُ: أهلاً بالعواصفِ. وجهُ
هذا العامِ مُغبرٌ ومصحوبٌ بزخاتٍ من الصَّمْتِ المخنثِ
- صمتكم هذا - ومصحوبٌ بزخاتٍ من الدَّمِ الكثيفِ.
وتدثروا بالصَّمْتِ ما شئتمُ
شراعي يعشقُ الأنواءَ
والبحرَ الكبيرَ،

ولعبة الموج الغضوب مع الشراع
لا تقربوا من نطعي المصنوع من شفتي ومن دمي

المشاع

لا تقربوا من نطعي المصنوع من جلدي
ومن أعراس أحلامي

ومن وطني المحاصر بالسيف النابيات،
وصمت حراس القوافل.

قتلوا الصبية والصبي.. وجدتي.

وسبوا مع الفجر الحزين حبيبتي أم الجدائل.

لا تصرخوا.. ودعوا الجريمة تكتمل.

الصمت من ذهب -

وأنا كرهت كنوز هذي الأرض هاتوا صرختي

كي أقلبَ الدنيا على أقداف مَنْ باعوا الصَّحابة،
والرَّسولَ..

وظفلي

وتملَّحوا بشعارِ تحريرِ التُّرابِ
وحقُّ تقريرِ المصيرِ.

وتمكيجوا بقضيَّتي..

وأنا أموتُ مع الصُّباحِ وفي المساءِ،

أموتُ مثنى أو ثلاثَ،

رُباعَ أسقطُ أو خُماسَ.

صمتُ على ذبحي

وأبناءُ العمومةِ والخُوولةِ

في نقاشِ هاديِّ النُّبراتِ... ما هذا الحماسُ!!؟

لا تصرخوا... عفواً..
فللحيطانِ آذانٌ وألسنةٌ
وللأعداءِ آلافُ العيونِ
وأنا أموتُ مِنَ الرِّصاصِ الحيِّ.

والمطاطِ

والصِّمْتِ المَعْمَمِ،

والمفلسِ

والظنونِ

صمتٌ على جُرْحِي هديتُكمِ لِمَنْ قطفُوا الأمانِي،

استباحوا ضَوْعَةَ الأَطْفالِ،

والنُّعناعِ،

والحبِ المَدلَّلِ عندَ نافذتي

وَأَرْخَوْا ظِلَّهُمْ فَوْقِي .
فَقَلْبِي فَأَرْ مُخْتَبِرٍ
وَهَذَا الْفَارِسُ الْعَرَبِيُّ مُتَدُّ كِظْلٍ عَبَاءَةٍ
مِنْ شَاطِئِ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ لَشَاطِئِ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ .
وَيَغْطُ كَالشَّاءِ الرَّغُوثِ ،
تَثَاقَلَتْ أَطْرَافُهَا فَتَكَاسَلَتْ
تَحِيَا عَلَى أَمْجَادِ رَاعِيهَا
وَدَاحِسَ .
وَالْفَتْوحِ .
وَأَيُّهُمْ أَهْجَى : حُطَيْئَةُ أُمِّ فَرَزْدَقِ أُمِّ جَرِيرٍ ! !
لَا تَذَرَفُوا دَمْعًا عَلَى قَبْرِ جَمَاعِي
فَعَارٌ أَنْ يُرَى الْعَرَبِيُّ يَبْكِي وَاقْفًا ،

إلا على الأطلالِ صَوَّحَهُ الحنينُ!!
صمتُ على صمتٍ. وتلكَ جموعكمُ
واللهِ لو مُسِخَتْ ذُبَاباً
لاستفاقَ العالمُ الحضريُّ مذعوراً على ذاكَ الطينِ.
وأنا أموتُ مع الصُّباحِ وفي المساءِ
لا تصرخوا..
أخشى عليكم عِلَّةَ الفتقِ،
وأنتمُ كالهَلَامِ الرَّخْوِ،
كالحلزونِ يُفرزُ منْ لُعبِ الذُّلِّ أشكالاً وألواناً
يمارسُ طقسَهُ الجنسيَّ في رئةِ السُّكونِ.
وأنا أموتُ مع الصُّباحِ وفي الظَّهيرةِ والمساءِ.
قدمايَ ثابتتانِ في قلبِ الحياةِ،

يدايَ دولابٌ يذبُ الموتَ

والحشراتِ،

عن تُفّاحةِ الجُرحِ القديمِ يصيحُ:

لم تزلِ البحارُ شديدةَ الأنواءِ يا قلبي،

فصبراً فوق صبرِ الصّابرينِ !!

وأنا أقاومُ في الصّباحِ

وفي الظّهيرةِ

والمساء.

وسيوّفُكمُ علقتُموا أمجادها

في ردهةِ الحفلاتِ ديكوراً

وبايَعْتُمُ أبا لَهَبٍ

وفرقتُمُ صفوفَ المؤمنين .

وخيولكم.

جرّدتوها من سروجِ المجدِ

تنتظرُ العليقَ المرُّ في مَلَلٍ

وتنتظرُ المزادَ البَخْسَ في الزَّمنِ الهجينِ.

أنا لا أريدُ سيوفكمُ وخيولكمُ.

أسرّجتُ راحلتي

وحملتُ مِقلاعي أجوبُ البیدِ

والطَّرقاتِ..

أعزفُ قصّتي لحناً

على أغصانِ داليةِ السنينِ.

يا ذلُّ قحطانِ وعدنانِ

فقد صدتُ سيوفُ القادسيَّةِ
وتثلّمتُ أطرافُ مارشاتِ الزُّحوفِ،
تخاذلتُ هممُ الرِّجالِ
تمايلوا خَبلاً..

وأنكرَ صُحبتِي أغلى تلاميذي على قلبي
وخانتني رموشُ العامريَّةِ
أنا لا أريدُ جموعَكُم..

سأظلُّ وحدي أستردُّ المجدَ ميراثًا
وأشعلُ ثورتي في عالمِ الصَّمتِ المؤبِّدِ -
عالمِ الإلحاد - عالمِكُم.. وأصنعُ أبجديَّةً .
صمتٌ على جُرُحي

وتنتفضُ الجراحُ على الحرابِ الجاهليَّةِ

ناموا ..

فأحلامي خيولٌ مُسرجاتُ/

جامحاتُ/

لا تُردُّ

ناموا..

فلساحاتِ فارسُها..

وبلقاءِ (١) تُشدُّ

(إنَّ الكرامَ على الجيادِ مبيتُهُمُ

فدعُوا الرِّمَاحَ لأهلِها وتعطُّروا) (٢)

ودعوا السِّيوفَ الماضياتِ فإنَّها

بيدِ الجبانِ جبانَةٌ لا تبتُرُّ

وتجنبوا ضبر^(٣) الخيول وشدها
السلم أنجى للدعي وأستر
تتجشأون على العروش كظاظه
والشعب يشقى ساغباً ويُقتر
آمنت بالشعب المجدل رأسه
تحت النعال إذ الرؤوس تجبر
وعشقت رهط الكادحين ورفضهم
ظلم الحياة وذلل من لا يثار
ناموا.. ستوقظكم دمائي كلما
سقط الشهيد على الشهيد يكبر
أنا لا أريد بروقكم ورجودكم
يومي مطير والغمام يبشر

وأريدُ مِثْرًا مِنْ تُرَابِ فَوْقَهُ
عَلَّمَ يُرْفَرُ وَالْإِبَاءُ يُنَوَّرُ

١٩٨٩-٩-٢.

(١) البلقاء - فرس المثنى بن حارثة الشيباني كان قد وهبها لسعد بن أبي وقاص قبل وفاته عشية حرب القادسية.
(٢) أصل البيت:

إنَّ الكرامَ على الجيادِ مبيتهمُ فدعي الرِّماحَ لأهلها وتعطري
وهو لأبي محجن الثَّقفي ردَّ به على امرأةٍ عندما رأتُه عائداً الى مَحْبَسِه
فظنتُه مُنْهزماً. فأنشأتُ تُعيرُهُ بفراره. وكان أبو محجن حبيساً لِسُكْرِه
بأمرٍ من سَعْدِ. فأخرجتُه سلمى زوجة سعد سراً وأعطتُه البلقاء، فشارك
في حرب القادسية وقاتل فأبلى بلاءً حسناً.. والقصةُ معروفة..
(٣) ضَبْرٌ - جمعُ القوائم والوثوب.

عوض يسترد صباه

«عوض.. تلك الصرخةُ الشائرة..
تلك الكلمة التي نُقشت بسواد ليل الغزاة على
جدران زرناناتهم فأضأت عتمة الحياة..
عوض الإنسان / الفلاح الطيب / البطل المجهول
الروح الفلسطينية الخالدة.. النار المقدسة التي
سكنت جسد كل طفل يرفع قبضته تقبض حجراً
تقدفه في وجه الطغاة!!»

غداً يستفيقُ الصِّباحُ الجميلُ
وتنأى الكواكبُ ..
تنأى الرغائبُ
ينأى الظلامُ الكثيفُ الثقيلُ،
أهومُّ خلفَ ضبابِ انتظاري

وأصحو لأرشفَ مرُّ اصطباري

أهومٌ.. أصحو..

وهذا الصِّباحُ قويا يكرُّ

سريعا سريعا يمرُّ

ويخطفُ مني ثُمالة هذي الحياة، يقولُ :

تجرِّعُ دقائقَ عُمرِكَ شيئا فشيئا كقهوةِ صُبْحِكَ،

هيا ...

جبالُ المشانقِ عطشى لماءِ الشِّبابِ،

وعندكَ ماءُ الشِّبابِ يفورُ طريئا شهيا.

أصيحُ: بلادي.. بلادي

أحبُّ الحرائرَ أكرهُ ذلُّ الجواري

وأنتِ الى الآنِ جاريةٌ تحتَ فخذِ الخليفةِ

إني أحبك رغمَ عيون الخليفة.
إني أحبك تحت عيون الخليفة .. إني ..
كرهتُ التمني ..
فمُدِّي إليَّ جدائلَ شعركِ أرجوحةً للنُّجاةِ
وتدريْنِ أنني أساقُ إلى رقصَةِ الموتِ قبلَ اغتصابِ الحياةِ
ولستُ أجيدُ أصولَ التثني ..
وتدريْنِ أنني قبلتُ التحدي ..
لأجلِكِ أقبلُ كلَّ السَّوادِ،
فمُدِّي إليَّ يديكِ .. خُذيني ...
خُذيني إليكِ قصيدةَ شعرٍ وزفرةَ شاعرٍ.
خُذيني إليكِ حكايةَ شعبِ صبورٍ،
رحيمٍ غفورٍ ..

وصرخةً ثائرٌ .. خُذيني ...
تقولُ : حبيبي أخافُ عليكَ كثيراً
أحبُّكَ حبًّا أثيراً .. ولكنْ تقدّمْ إلى النّطعِ زَيْنَ الشّبَابِ
فإنّي اصطفيتُكَ بينَ الأنامِ أميراً ..
وخيرَ الأنامِ تكونُ ،
خلاصَ الحُفَاةِ العُراةِ تكونُ ،
حديثَ الغُزاةِ ،
ورُعباً يُعكّرُ صفوَ الغُزاةِ تكونُ ،
مددتَ يديكَ لِصَحْنِ الخليفةِ ثارَ / ضحكْتَ ..
وشاحَ بوجهٍ يُقطرُ سُمًّا / ضحكْتَ
وكنْتَ الجريءَ المنيعَ
فضضتَ بكَارةِ صمتِ الجموعِ

فكنتَ العريسَ الوضيءَ البديعَ ،
مشيتَ وحوالكَ حشدُ الجِيعِ يفورُ يمورُ ،
تعلمَ منكَ فنونَ الحياةِ
وعشقَ الحياةِ -
ولعبةَ عضِّ الأصابعِ ، / فنُّ التحديِّ ..
لقد عشتَ ما عشتَ ،
رجلاكَ في حمأةِ القهرِ تشقى
وفي كُلِّ عامٍ تُهيءُ ثوباً جديداً لطفلٍ جديدٍ وإسمًا
وفي كُلِّ صُبْحٍ تُطيرُ حلماً
وتصنعُ خُبزاً ودبساً وفحماً
لقد عشتَ ما عشتَ رأسكُ فوقَ جميعِ الرؤوسِ
تموتُ ونعلكُ فوقَ رؤوسِ الطغاةِ ،

إلى أين يَشْمَخُ أنْفُكَ.. يعلو.. وبعلو.. وبعلو

تواضع قليلا ..

وخذْ مَنْ تَشَاءُ خَلِيلًا.

لَكَ الْمَجْدُ وَحَدَكَ

أنت تُكَلِّلُ فوق رِقَابِ الْعِبَادِ،

تَأْرَجِحُ معَ الْحَبْلِ مَا شِئْتَ أو مَا يَشَاءُ الْقَضَاءُ

فَأنتِ السَّرَاطُ الْقَوِيمُ وَأنتِ الضِّيَاءُ

وهمُ عَتَمَةُ الْعَصْرِ في كُلِّ عَصْرٍ،

لَكَ النِّصْرُ وَالْفَخْرُ حَيًّا وَمَيِّتًا

وَمِنْ قَبْلُ ..

مِنْ بَعْدُ

في كُلِّ حِينٍ .

تأرجح.. فإن الحياة قلامه ظُفر بكف الشهادة،

أنت الشهيدُ

وأنت الوحيدُ الفريدُ

تقدمُ جموعَ الضحايا إلى جنةِ الخالدين..

تقدمُ وخذُ بسمةَ الصُّبحِ،

خذُ بهجةَ الفتحِ - وجهَ الملاكِ ،

فإنِّي أحبُّ الشهيدَ ضحوكًا سميحًا رضيًا.

غداً يستفيقُ الصُّباحُ البهيُّ

ويكسو الحياةَ رداءً بهيًّا

- تقدمُ إلى ساحةِ المجدِ

أنتَ الفدائيُّ

والفارسُ اليعربيُّ ..

أُفِزِعُكَ الْمَوْتَ ؟
لا !! قَالَ فِي عِزَّةِ الْوَرْدِ
فِي وَثْبَةِ النَّهْدِ
لَكِنْ يَحْرُكُ فِي أَرْبَعِ الطَّفُولَةِ
أَرْجَعُ طِفْلاً خَلِيّاً شَقِيّاً .
هَنَالِكَ خَلْفَ الْفَرَاشَاتِ أَعْدُو
وَيَعْدُو الرِّفَاقُ ،
نَعْبُ الْحَيَاةِ عُدُوْبَةٍ حُلْمٍ صَغِيرٍ
نَجُوبُ السُّهُولِ وَنَرَكُضُ فَوْقَ التَّلَالِ ،
نُسَابِقُ ظِلَّ الْمَحَالِ
وَنُشْبِعُ عَالِي الصَّخُورِ مِرَاحاً وَوَثْباً وَجَمْزاً
شَيَاطِينَ نَغْزُو الْكُرُومَ

لِنَسْرِقَ تِينًا وَخَوْخًا وَلَوْزًا
وَنَهْرُبُ تَحْتَ أَزْيِرِ الشُّتَائِمِ صَوْبَهَا نَحْوَ أَقْحَافِ آبَائِنَا
صَاحِبِ الْكَرَمِ / الشَّيْخِ عِمْرَانُ .. نَهْرُبُ ... نَكْتُمُ فِي
وَجَلِّ

ضَحَكْنَا .. وَنَأْكُلُ فِي نَهْمِ غُنْمِنَا .. بِلَادِي ..
بِلَادِي ..

أَرَاكِ الْحَبِيبَةَ وَالْحَكْمُ بِالْمَوْتِ حَبْلٌ يَلْمُ سَنَابِلَ عُمْرِي
وَإِكْلِيلَ شَوْكِ يَطُوقُ عُنُقِي ..
وَأَطْمَعُ فِيكَ عَرُوسًا تُزْفِينِ لِي يَوْمَ شَنْقِي
أَرَاكِ الْعَشِيقَةَ فِي كُلِّ آنٍ،
تَنَامِينِ فِي رَدْهَةِ الْقَلْبِ أَيْقُونَةً
أَقْبَلُ مِنْكَ الْجَبِينِ .. الْجَدَائِلَ

أَلِثْمٌ مِنْكَ السَّوَّاحِلَ ،
أَلِثْمٌ مِنْكَ رَقِيقِ الْبِنَانِ .. الْخَلَاخِلَ
أَلِثْمٌ مِنْكَ الْجِدَاوِلَ ،
أَحْضَنَ مِنْكَ السَّهْوَلِ / الْحَقُولِ
الْهَضَابِ التَّرَابِ الشَّبَابِ ..
وَأَرْشَفُ صَفْوِ الرَّحِيقِ .. الرُّضَابِ
تَمَنَيْتُ يَا عُمَرَ لُقْمَانَ
جَنَيْتُ لَكَي تَشْبَعِ النَّفْسُ مِنْ حُبِّكَ الطُّهْرُ
هَلْ يَشْبَعُ الزَّهْرُ مِنْ ضَمَّةِ الزَّهْرِ ؟ !
هَلْ يَرْتَوِي الْوَرْدُ مِنْ حُمْرَةِ الْوَرْدِ ... هَلْ .. !!
أَرَى الْمَوْتَ أَسْرَعَ مِنْ هَمْسَةِ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ ،
أَقْرَبَ مِنْ بُؤْيُؤِ الْعَيْنِ لِلْعَيْنِ ، أَسْرَعَ .. أَقْرَبَ ...

ماذا يقولُ الظلامُ لضوءِ الصُّباحِ ؟ !
كأنِّي بهذا الظلامِ الثَّقيلِ يُباعِدُ بيني وبينَ الهلاكِ
وذاك الصُّباحِ الجميلِ يُباعِدُ بينَ الحياةِ وبينِي ..
ولستُ أخافُ المنايا
ولكنُ ..

تركتُ الفؤادَ يُكفِّنُ ورَدَ الفؤادِ
ويرثي قُبَيْلَ الرِّحيلِ الطَّويلِ جوادِي.
فيا ليلُ أبْطِئِ !!
وباعِدِ يديكَ عن المَهجَةِ الحالِمَةِ.
ويا ليلُ دَعِ نرجسَ القلبِ يجمعُ قبلَ المحاقِ
عرائسَ أحلامِهِ الهائِمَةِ
..... و

«يا ليلُ خَلِّ الأسيرِ يكْمَلِ نواحهُ
رايح يفيق الفجرُ ويرفرف جناحهُ
يا ليلُ وقِّفْ تأقضي كُلَّ حسرائي
يمكنُ نسيتُ مين أنا ونسيتُ آهاتي
يا حيف كيف انقضت ببيديك ساعاتي
شمل الحبايبُ راحُ وتكسروا قداحهُ»

*

جعلتَ المنايا منازلَ تأنسُ فيها النفوسُ
رسمتَ بقلبك دربَ الخلاصِ
فأين المذنبُ
أين المجوسُ ،
جعلتَ الشهادةَ حلماً يُنشِطُ ضَعْفَ القلوبِ

ودرساً يُدرّسُ مثلَ القراءةِ

مثلَ الكتابةِ

مثلَ اعتناقِ المبادئِ / عشقِ الحبيبِ

جعلتَ الكفاحَ طعامَ الفقيرِ اليسيرِ / رغيفَ فلافلٍ .

وصارَ الكفاحُ كقولةِ مرحي

وأهلاً وسهلاً ،

وصارَ حديثَ المحافظِ .

نسجتَ من القهرِ جُبَّةَ صبرك

سرتَ توزعُ دفتكَ / حبكَ / عطركَ

سرتَ .. تمهلُ !!

الى مَ نَظَلُ نفكرُ فيك ،

نحدقُ فيك ونخجلُ !!؟!

وأنتَ المقيمُ كوجهِ (الجليلِ)

وعرسِ الشهيدِ

ونحنُ الرُّعَاةُ

نسوقُ الشِّياهُ

نسوقُ .. نسوقُ ونرحلُ .

لبستَ البساطةَ ثوباً مُعاراً من الفجرِ

والزَّهرِ ،

من ضحكةِ النَّهْرِ من نكهةِ الحُبْرِ

كيفَ الوصولُ إلى بُورَةِ اللُّغْرِ

إن لم نُعمدْ بهذا الوضوحِ / وضوحكَ أنتَ .

يقولُ الظُّلامُ : تخبأتُ بين ثيابي

بكِتَ ..

رثيتَ بديعَ الشَّبَابِ فماذا تقولُ ؟ !

- أجلُ قد بكِتُ ولكنْ بكاءَ القويِّ

بكاءَ الأبيِّ

بكاءَ النَّبيِّ

بُكَاءَ السَّحَابِ السَّكُوبِ يُقْبَلُ خُضْرَ الرَّوَابِي
بَكَيْتُ وَكُنْتُ أودِعُ آخِرَ لَيْلٍ يَخْبِيُّ شَوْقِي لَأُمِّ الْعِيَالِ
وَزُغْبِ الْفِرَاحِ
وَحُزْنِي الشَّفِيفَ وَدَمْعِي
أودِعُ آخِرَ لَيْلٍ وَعَشَقْتُ بِلَادِي يَدَاعِبُ ذَوْقِي ،
وَلَمْسِي وَشَمِّي وَطَرْفِي وَسَمْعِي .

«ولا تظنُّ دَمْعِي خَوْفَ دَمْعِي عَ أوطَانِي
وَعَ كَمِشَّةِ زَغَالِيلِ فِي الْبَيْتِ جوعَانِي
مِينَ رَاحَ يَطْعَمَهَا بَعْدِي - وَاخْوَانِي
اِثْنِينَ شَبَابَ قَبْلِي عَ الْمَشْنَقَةِ رَاحُوا...»

*

وماذا يقولُ رُفَاتُكَ تَحْتَ الصَّفَاةِ ،
خِلَالَ السَّنِينِ الْعِجَافِ الطَّوَالِ ؟ !

يقولُ : بُنيَ تقدّمُ
فهذي الحياةُ فتاةٌ لعوبُ
تراقصُ كُلَّ صَنُوفِ الرِّجَالِ ،
وقبلَ طُلُوعِ النَّهَارِ تجمَعُ زِينَ الرِّجَالِ .
أقولُ : بماذا تُبارِكُ طفلاً تناولَ ضوءَ الصُّبْحِ فطُوراً
وأقسمُ أن يتنفَّضَ مثلَ العُقَابِ
فلا يتنفَّسَ غيرَ الهِوَاءِ النُّقِيِّ
ولا يترجَّلُ قبلَ اندحارِ الضُّبابِ ... يقولُ :
وهبْتُكَ سِيفِي المثلَّمِ ،
قلبي المَحْطَمِ / حُلْمِي المهدَّمِ .
وجرحاً عميقاً .. وهبْتُكَ جرحاً عميقاً ،
لكثرةِ مَنْ عالجوهُ تسممُ
صهيلُ دِمَائِي المِطارِدُ يصرخُ فيكَ : تقدّمُ

فإني تراجعتُ يومَ حَسَبْتُ نقيقَ الضَّفادِعِ ،
شِعْراً بليغَ المعاني مُنْعَمٌ .
وإني تراجعتُ يومَ أَعَرْتُ سيوفي
لِمَنْ لا يصونُ السِّيوفَ
فَجِئْتُ تُقيمُ الصُّفوفَ .. وسرتُ ..
خُطَاكَ تفوقُ خطايَ ..
أعدتُ إليَّ صبايَ .. تقدمُ
فبعدَ شتاتِ السنينِ الطُّوالِ ،
أعدتُ رفوفَ السُّنُونُو وقد فرقتُها رِياحُ الشُّمالِ
وعادتُ تحطُّ على أسطحِ الدُّورِ
فوقَ جبالِ الغسيلِ
وتحتَ سقوفِ العرائشِ
تعجنُ طينَ العِشاشِ الجديدةِ

عَادَ رِذَاذُ الْحَيَاةِ
لِيُنْعِشَ وَرَدَ الْحِدَائِقِ وَالْأَمْنِيَاتِ ،
وَضَعَفَ الْقُلُوبِ ،
وَصَبَرَ الْمُقَاتِلِ وَالثَّائِلَاتِ
بُنِيٌّ : وَأَنْتَ الْفِدَاءُ وَأَنْتَ الْمُفْدَى
وَأَنْتَ الْحَنِينُ الْمُخَلَّدُ .
بُعِثْتَ فَبَارِكْ طُقُوسَ الزَّفَافِ الْمُقَدَّسِ .. وَاشْهَدْ !
وَعَلِّمْ رَعَاعَ الشُّوَارِعِ حُبَّ الشَّهَادَةِ /
حُبَّ الْحَيَاةِ الْمُؤَبَّدِ .
فَبِئْسَ الْمُنَابِرُ
وَالنَّاعِبُونَ
وَبِئْسَ الْمَزَادُ
وَمَنْ يَشْتَرُونَ

وبئسَ التّخاذُلُ
والزّاحفونَ
وبئسَ التّفاوضُ / ببئسَ التنبؤُ / ببئسَ الرّهانُ
سئمنّا حكاية : كان وكنتُ وكُنّا وكانوا
كفاكُمُ ... !!
تمرّدُ فينا الرّبيعُ ،
وماجت بحارٌ وهاجتُ رياحُ
وأشرقَ فجرٌ ولاح صباحُ
تمرّدُ فينا الرّبيعُ
فمدّوا فراشَ الهوانِ وبولوا وناموا ..
«إحنا الّلي نحمي الوطنَ ونعصبُ جراحه»

(نُشرت في «الاتحاد» ٢/١١/١٩٩٠)

حبيبتي وسيوف الغزاة وبعض الكلمات ..

«اعذروني إن خرجتُ عن مألوفِ شعري
وكنتُ عصبياً وبذيئاً بعضَ الشيء ..
فخنجرُ الغدرِ كبيرُ والجرحُ عميقُ ..»

فاجأني العُهرُ بهذا الحجمِ
وهذا الشكلِ
تزعزعتُ ..
وقفتُ على الأطلالِ .. بكيتُ ..
تراجعتُ . تراجعتُ ..

غريباً يشتاقُ إلى الأهلِ -
كطفلٍ يبحثُ عن دفءِ الرَّحِمِ
تراجعتُ ..
دخلتُ رحابَ التاريخِ العربيِّ
رفعتُ بشوقٍ عينَ العاشقِ
تبحثُ عن وشمٍ بدويٍّ في خدِّ المعشوقةِ ..
حدقتُ .. وحدقتُ ..
فأنعشني عدلُ الفاروقِ
دخلتُ الحكمةَ من بابِ عليٍّ
ورشفتُ الحِلْمَ بكأسِ معاويةَ
شربتُ .. شربتُ .. طربتُ ..
وكان المأمونُ يقلبُ في شغفٍ صفحاتِ العِلْمِ -

فخوراً ، فوق السرج ، غيوراً ،

قدم في طنجة

والأخرى عند حدود الصين .

حدقت .. وحدقت

فخالطني الحزن ،

وحدقت .. فمأزجني المجد الغابر

لفحتني شمس العزة

آمنت بعشق الذات الايجابي ،

هرعت لثدي الصحراء الثر

رضعت .. رضعت

فعاودني الشوق لدنيا الأحلام -

سراب طفولتي الهاربة ،

حديث الجن ،
ومصباح علاء الدين ..
أوجعني العهرُ بهذا الحجمِ
وهذا الشكلِ .. تراجعتُ
تراجعتُ ..
ركعتُ أمامك يا حطِينُ .
وصرختُ
خذيَني أحزانَ يتامي
ودموعَ ثكالي
ومرارةَ مقهورين .
وخذيَني سيفاً خشبياً
وحصاناً خشبياً

وفؤاداً رعيدياً من طين.
وأعيديني نخوة معتصم
وسنابك خيل
وسنان الحمداني
وسيف صلاح الدين .
وأعيديني أغنية النصر القادم كالصبح الحتمي
وجرحاً - رغم ظلام السجن ،
وليل الطاغوت يقاوم حد السكين
ويمطر .. يطر أقماراً ضاحكة وحساسين .
أنا من فقراء الأمة
أشرب أحزان الأمة
ثم أسجل في دفترتي اليومي حديث الفقراء :

عطشٌ في الحلقِ
وعطشٌ في الرئةِ المعطوبةِ ،
عطشٌ في عُرفِ النومِ طوالَ اليومِ ،
وساحاتِ الدَّورِ ،
وعطشٌ في رائحةِ الخُبْزِ ولونِ الماءِ !
عطشٌ في المَعْبَدِ والمبغى
وعيونِ الأطفالِ وصمتِ الحكماءِ !
عطشٌ ما بينَ الشِّفَةِ المتشَقِّقَةِ ،
وما بينَ الكلمةِ ،
والرأيِ الحُرِّ / النِّقْدِ الذَّاتِيِّ ،
وبينَ عيونِ الرُّقْبَاءِ !
عطشٌ ينتشرُ كرائحةِ الطَّاعونِ ويمتدُّ ،

يُقيم ..

وهذا الوطنُ العربيُّ العصريُّ ينامُ جريحاً
وضعيفاً وهزياً ما بين حرابِ القمعيين ،
وأفيونِ الغرباء .

أسرجتُ التاريخَ قديماً ،
رحتُ أجوبُ الكونَ

فما انغلقتُ في وجهي حاضرةً أو باديةً ..

علقتُ قناديلَ الحكمةِ في كلِّ زوايا العتمةِ
قدمتُ ثمين الأهرامِ هدايا وقرابينُ

وأراني اليومَ أجوبُ الطرقاتِ قميئاً ،

وبذيئاً ..

أمتهنُ الذلُّ

أَلْقَطُ مِنْ رَوْثِ الْأُمَمِ فُتَاتًا
كِي أَبْنِي دَوْلَتِي الْعِصْمَاءُ !!
مَنْ ذَاكَ الْجَالِسُ عِنْدَ السُّدْرَةِ ؟
مَوْلَانَا الْحَاكِمُ .. ؟ !!
أَمْ زِيرُ خُمُورٍ وَنِسَاءٍ ؟
أَيُّ أَمِيرٍ هَذَا الْعَلِجُ الْجَائِمُ فَوْقَ رِقَابِ الشَّعْبِ الْجَائِعِ
يَتَزَوَّجُ الْفَأَّ ..
يُسَافِحُ الْفَأَّ ،
وَيَهْبُ قُبَيْلَ الصَّبْحِ بِهِيمًا
شَبِقًا يَبْحَثُ عَنِ بَائِعَةِ اللَّذَّةِ خَلْفَ قُصُورِ الْأُمَرَاءِ .
حَامِي الْحَرَمِينَ يَضَاجِعُ فِي شَبَقِ الْفَاحِشِ
صَاحِبَةِ الْعِفَّةِ أَمْرِيكَ !

ولكي يحمي عورته
يستدعي لوطيين سحاقيين ،
وأفتاه مسيلمة العَصْرُ بفتوى الشرك ،
فأين أبو بكر كي يقطع رأس الفتنة
أين خيولُ شرحبيل
وأين عساكرُ سعدٍ وصهيلُ البلقاء ؟ !
هل جفَّ النيلُ
وكان وفيرَ الخير
كرماً يقري الضيفَ
شجاعاً يحمي الجارَ / يغيثُ الملهوفَ
ويشربُ أحزانَ الشهداء .
أترجعُ بردى ؟ !

أترجعَ مثلَ عيونِ المخطئِ باغتةَ الضوءِ ،
فأقعى يلعقُ ذلُّ فضائحهِ
يقدحُ في جهْدِ كُلِّ قرائحهِ
كي يجدَ كلاماً يتكئُ عليهِ
ويبتكرُ لموقفهِ المتهمِ جميلَ الأسماءِ !
كيفَ ينامُ كبيرُ القومِ تقياً من سمتِ الله ،
وقبلَ صياحِ الديكِ يصيرُ إمامَ الخُلعاءِ ؟!
آمنتُ بروحِ الأمةِ ناراً ،
تحرُقُ أوكارَ البغيِ
ومؤتمراتِ التَّدليسِ
تدكُ منابرَ إفكٍ
وحماقةَ بَبغاواتِ

كيف يبيع الاسخريوطي معلّمه بالثمن البخس
ولا يسحق كالبقة آلاف المرات؟!
هذا الوطن طهور كمصلى المؤمن ،
كيف يدنس طوعاً بجيوش الردّة
وسحاق الضبّعة ،
وفحيح السّعاء!
كيف تصير جيوش العالم جيشاً أمياً
والرّمح صليبيّاً
والطّعنة طعنة وحشيّة
لمجرد أنّي أعشق لون الزّهري
ولون الحبر
ورائحة الكيمياء !!

أَيُّ دَجَلَةٌ صُبِّيَ مَاءُكَ
فِي قَلْبِ الْعَطَشِ الْعَرَبِيِّ رَوَاءً
وَالْحُزْنِ الْعَرَبِيِّ حُدَاءً
وَالْيَأْسِ الْعَرَبِيِّ رَجَاءً !
أَيُّ دَجَلَةٌ صُبِّيَ بَعْضَ مِيَاهِكَ
فَوْقَ صَلِيبِي الْمُعْلَنِ لِلْبَيْعِ
بِسَعْرِ الْجُمْلَةِ ،
وَالْمَفْرَدِ ،
فِي السُّوقِ الْحُرَّةِ وَالسُّودَاءِ !
يَا هَذَا الْوَطْنَ الْعَرَبِيُّ
يَحَاصِرُكَ الطَّاعُونَ فَقَاوِمُ !!
أَطْلُقْ قَدْرَتَكَ الْمَخْزُونَةَ فِي دَمْعِ الْبُسْطَاءِ
وَأَنَا ..

وجدائلُ فاتنتي
والطفلُ الأثعُ
والشَّيخُ الأعمى
وجميعُ الشعبِ قرابينُ فداءٍ !

١٩٩٠/٩/٢.

شظايا

«شظايا تناثرت ليلة اغتصاب مجلس
الأمن .. فمات من مات وجرح من جرح
.. وظل العالم صامتاً .. وأما بعضها
فقد سقط بشدة وقسوة على سقْف
قلبي...»

- ١ -

لعنة الحرب

أيها السائل أين الشعرُ ؟
لا تظلم حساسيني ،
وأزهار البنفسج .

كيفَ يحيا نرجسُ الشعيرِ ،

وهذا الليلُ بارودُ ،

ونارُ ..

ومواويلُ ثكالي .

قمرِي مَيَّتٌ على شُبَّاكِ أَحْزَانِي

وصوتي غابَةٌ من شوكِ آلامِي ،

وعوسجُ

- ٢ -

العروبة

آن لي أن أغمسَ الرِّيشَةَ ،
في عينِ (هولاكو) مرَّتينِ .
مرَّةً كي أرجعَ النُّورَ لعينيَّ .
وأخرى ..

كي أعيدَ الفَجْرَ وردياً
لأحفادِ الحُسينِ .

- ٣ -

ابنُ سينا

جئتكم في ظلمة الليل ،
هزاراً ..

مُخملي الصّوتِ شرقيّ الغناءِ
فزرعتُ الغربَ أقماراً ،

وأسبغتُ عليكم

حللاً من نسجِ (قانوني)

وجينات (شفائي)

فلماذا جئتموني اليومَ ،

صلاً ظامئاً يبغي دمائي ؟ !

حديثُ النخلة

حين أَلَقْتُ بيضها النَّارِيَّ عنقاءُ ..

وغابتُ ..

خلفَ أجفانِ الغُزاةِ الحاقدينُ

نخلةٌ قالتُ بصوتٍ

واثقِ الجرسِ رزينُ .

- جمعي ما شئت من نارٍ

ومن قارٍ .. أغيري ..

ثمَّ عودي وأغيري

ثُمَّ طِيرِي .. ثُمَّ عَوْدِي ..
لَنْ تَرِيْ غَيْرَ صَمُودِي
وَأَنْدَحَارَ الْعَاصِفِهِ
وَإِذَا مِتُّ فَانِي
أَسْلَمُ الرُّوحَ لِبَارِيهَا
وَلَكِنْ وَاقِفُهُ !!

طِفْلٌ و (ب ٥٢)

نقري ما شئت ،
من دورٍ وسوحٍ
وأحيلي قريتي الخضرَاءَ والقفرَ سِوَاءَ !
وأحرقني إن شئتِ أحلامي
وأقلامي ..
وصوتَ النَّايِ في حلقي
ولونَ الببغاءِ .
سوفَ تبقى غرفةٌ للدرسِ
والحُبِّ .

وأسباب البقاء !!

- ٦ -

ميليشيا

قد كشفنا عورة اليانكي ،

لأننا ..

قد حطّمنا قُممَ الخوفِ

تخطينا رقابَ الأوصياءِ

ولأننا ..

من قرونٍ قد أكلنا

خُبزنا المعجونَ بالجهلِ .

وصرنا ..

نعجنُ الحُبْزَ بماءِ الكيمياءِ !

- ٧ -

هيئة الأمم

غرقتُ في عُربها المفضوحِ حتى الرقبةُ

نالَ منها البغيُّ أغلى

ما يزينُ الحرَّةَ المنتسبهُ

- مَنْ تُرى يبكي بجوفِ الليلِ ؟ ! قالتُ :

أنذا أبكي .. وهل
يمسحُ العارَ بكاءً
أو يُعيدُ الطُّهرَ للمفتَّصِبَهْ؟!!

- ٨ -

شوفينيَّة

- أتحبُّ الفجرَ ،

والزَّهرَ ،

ولونَ البرتقالِ ؟ !

... لمْ أُجِبْ ..

... والصَّمْتُ طالُ !

قيمة الإنسان

أيها الغازون ..
يا وَجْهَ الزَّمَانِ الْمُظْلِمِ
قيمة الإنسان أن يبني ،
لا أن يهدم .. !!

- ١. -

صرخة الحسين

لم يكن قتلي بحدِّ السيفِ ،
لكنني شهيدُ الصَّمتِ
أيها الصَّمتُ الزَّجاجيُّ تفجَّرْ !
ثورةً كبرى .. تفجَّرْ .
هزةً أرضيةً ،
ناراً ،
جحيماً يمضغُ الأعداءُ

بُرْكَانًا.
جماهيراً .. تفجّر ..
قتلوني مرّةً بالصمتِ لكنّ
لن يطالوا مرّةً أخرى
فروحي البعثُ في الشعبِ
ومسكُ المبتغى نصرٌ مؤزّر !!

١٩٩١/٢/١٧ - /١/١٧

أبو جعفر المنصور

ينش الذباب عن لحيته

اتفقت كلمة المؤرخين وأهل اللغة على أن لفظة (بغداد) أعجمية. ولذلك اختلفوا اختلافاً كبيراً، في ضبط حروفها فقالوا: (بغذاذ وبغداز وبغذاذ وبغدان وبغدين ومغدين وبغدام ومغدام وبغذان وبهزاد). وقد زعم بعضهم أن اللفظ مركب من كلمة (بغ) وهو بستان و(داد) وهو اسم صنم للعجم، وجملة المعنى (بستان صنم) وقد قيل (بستان رجل) وقيل (عطية صنم). وقيل (بغ) الله و(داد) تأسست فيكون المعنى (أسسها الله).

قال أبو حاتم السجستاني: سألت أبا سعيد الأصبغي كيف يُقال (بغداد) أم (بغذاذ)؟ فقال: قل: (مدينة السلام).

وقال محمد بن جرير الطبري في تاريخه: ذكر أن المنصور لما عزم على بناء بغداد أحب أن ينظر إليها عياناً، فأمر أن تُخطَّ بالرماد. ثم أقبل يدخل من كل باب في فصلاتها وطاقتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد. ثم أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب القطن ويصب عليه النفط. فنظر إليها والنار تشتعل ففهمها وعرف رسمها وأمر أن يحفر أساس ذلك على الرسم. وعند ذلك ابتدئ بحفر الأساس وكان ذلك سنة ١٤٥ هـ. فوضع بيده أول حجر في بنائها وقال: بسم الله والحمد لله

والأرضُ لله يورثها مَنْ يشاء من عباده - والعاقبة للمتقين. ثم قال:
ابنوا على بركة الله.
قيل: ولما تمّ بناؤها حشرَ إليها المنصورُ العلماءَ من كلِّ بلدٍ وإقليمٍ فأمّها
الناسُ أفواجاً ولم تزل تتعاضمُ ويزدادُ عُمرانها حتى صارت أمّ الدنيا
وسيدةَ البلادِ ومهدَ الحضارة..

وكانَ الهزيعُ الأخيرُ من العُمُرِ

في السنّةِ الغمْرِ،

زُكُزِلتِ الأرضُ.. مارتُ ..

ودارت معَ العقربين ،

معَ السّاعةِ الهمجيّةِ

غامتُ سماءُ الطّفولةِ ،

ألقتُ على صدرِ أمّي نزيفاً شديدَ السّوادِ

وألقتُ على وجهِ أمّي رذاذاً شديدَ التّواصلِ

يحملُ موتاً جديداً على شكلِ طفلي

تناثرَ ..

شيئًا فشيئًا لهيبًا

وشيئًا فشيئًا رمادُ

وكان الهزيعُ الأخيرُ،

شربتُ دموعي

وملحَ انتظاري

لبستُ سرابَ انتصاري

وأغلقتُ داري

لعنتُ جميعَ الجهاتِ

دفنتُ جميعَ اللغاتِ

بصقتُ .. بصقتُ

وأعلنتُ بدءَ الحدادِ

فؤادي حريرٌ تورمُ ،
مَنْ يفتديه بلونِ الحُزَامِي
ومَنْ يشتري قُمقمَ الحُزْنِ مِنْ بَائِسٍ بِالْمَزَادِ ؟
أنا الحُزْنُ ..
لا تنتظرُ ضحكةَ الحُزْنِ لا .. لا ..
ولا تنتظرُ دَمعةَ المُنْزِ يا ذا المِدادِ !!
لكَ الزَّيفُ ..
أو فانتظرُ لولبَ الوقتِ كي يُرجعَ المجدَ لي
هُدُوداً مِنْ كَلامٍ ..
سلامٌ .. سلامٌ .
سلامٌ على أُمَّةٍ تَخَلَعُ المَوتَ ثوباً عَتِيقاً
وتلبسُ حُضْرَ الرّوَابِي ،

ووجه الغمام
سلام على من تنفض تحت الركام ،
وشق حجاب الظلام وقام .
سلام على من يذر التحية شوقاً ،
يروق لعين الرعية ،
يأتي بنصرٍ يجب الهوان ،
يكون الفطور المبارك بعد دهور الصيام .
سلام على من بناها فأعلى
وأعلن أن الرعايا رعاة
وأن الرعاة رعايا
وأقسم أن تستريح السيوف
لتأتي البلايل سرياً يلّم جراح الربيع

وسرياً يُقبَلُ وردَ الخطايا ..
ألا يا فؤاداً شربتَ بخور السرابِ المعتقِ ،
طرتَ تحلقُ في ردهةِ العمرِ ،
حيناً تطيرُ شظايا
وحيناً تطيرُ خداعَ مرايا
وحيناً تسفُّ ..
تخطُّ .. تغطُّ معَ النائمينَ .
ويا أيُّها النفسُ كوني كما شئتِ ،
برداً على لهفةِ العاشقينَ .
وناراً على حيرةِ الحاقدينَ .
وكوني رياحاً تُبددُ وهمي وهمي
وكوني وشاحاً موشى الحواشي لإهدابِ أمي .

وستراً لعورة يعربُ عندَ الخطوبِ -
وبؤرة غمي .. وكوني ... !!
كأنني نمتُ دهوراً ..
وقد تاقت النفسُ أن تشربَ النهرَ وجداً
فأين (الرُصافةُ) تحرسُ عينَ المهابةِ
وهل لا يزالُ وليفُ على العهدِ في (الكرخ)،
شهرٌ يهلُّ
ودمعٌ يهلُّ
ودمعٌ وشهرٌ .. وشهرٌ ودمعٌ ..
وقلبٌ يُقبلُ حزنَ الرُخامِ
ويشربُ سجعَ اليمامِ.
سلامٌ على (ابن زريقِ)

سلامٌ على الشاعِرِ (الجَهْمِ)
كُنْتُ أَحَبُّ اللِّقَاءِ
ولكنْ تخونُ الرِّيحُ
ويَهْوِي شراعُ التَّمَنِّي بقايا حُطامِ.
وقد تآقتِ النَّفْسُ أنْ تعبرَ الجِسْرَ
أينَ الجِسورُ
وأينَ زوارقُ صَيْدِ الطُّبَّاءِ
وأينَ الحدائقُ
أينَ القِيانُ
وأينَ سهيلُ السَّهاري
وأينَ لياليكِ يا شهرزادُ !!!
بَعُدَتْ .. بَعُدَتْ .. بَعُدَتْ

وطالَ البُعَادُ ..

وقد تآقت النفسُ أن تشربَ الفجرَ

ضاقت بلونِ الرُّقَادِ ،

نهضتُ ..

شربتُ جميعَ اللُّغاتِ

فصار كلامي ثَقِيلٌ -

لماذا كلامي ثَقِيلٌ على طَبْلَةِ الكونِ

مَنْ يا تُرى يرتضيه !؟

يقولون: فَتَّحَ وردُ الجنائن قبلَ الأوانِ

وكنْتُ صَبِيحًا أراجعُ درسَ الحسابِ

وأركبُ بحرَ العلومِ وأبحرُ فيه ..

يقولون : أنتم قبائلُ ترعى الشِّياءَ

وتأكلُ تشربُ تُنجبُ تغزو

وتسبي العذارى

وتقتلُ حُبًا بلونِ الدَّماءِ.

يقولونَ : إنا أسأنا

بأنا هجرنا الخيامَ ورملَ الصَّحاري وجئنا

لناكلُ تفاحةَ المعرفةِ .

وجئنا لنلعبَ لُعبةَ عهدِ اللِّقاحِ الجديدِ :

- رصاصُ حديدُ

حديدُ رصاصُ

حوامضُ أفرانُ سِحْرِ نُحاسُ

عناصرُ شتَّى

فلزُّ مُذابٌ وصلبُ -

وجئنا ..

لِنَلْبَسَ ثُوبَ الْحَيَاةِ الْجَدِيدِ
فَنَعْرِفَ كَيْفَ نُحِبُّ وَكَيْفَ نُحَبُّ

وَكَيْفَ نَشِيدُ

وَنُعَلِّي الْبِنَاءَ

وَنُحْيِي الْقَفَارَ

وَنَزْرَعُ قَمْحًا وَقُلًّا

وَقُلًّا وَقَمْحًا... وَقَمْحًا وَقُلًّا ..

نَحِبُّ نَحِبُّ .. نَحِبُّ وَنَصِيبُ ..

يَقُولُونَ : إِنَّا أَسَانَا بَأْنَا وَأَدْنَا الرَّمَاحَ

وَطَهَّرَ الْقَبِيلَةَ ،

ضِقْنَا .. وَضَاقَتْ (قَفَا نَبُك)

تشهدُ كُلُّ الطُّلُولِ بَأْتًا بِكِينَا . بِكِينَا .. بِكِينَا
وَأَنَّ الْأَوَانَ ..

تركنا (الخولة) كُلُّ الدَّمُوعِ
وَكُلُّ الطُّلُولِ .. ضحكنا ..

فجاؤوا جموعاً جموعاً مِنَ الْمَوْتِ :

موتٍ يَطِيرُ

وموتٍ يُغَيِّرُ

وموتٍ يَدْبُ .. يَدْبُ وَيُحِبُّ ..

وَأَلْقُوا خُطَابَ الْحَيَاةِ الْأَخِيرِ وَقَالُوا :

- أَبُوكُمْ ثَمُودُ

مِنَ الرَّمْلِ جِئْتُمْ

إِلَى الرَّمْلِ عُودُوا ..

*

سأبنيك يا قلعة قلعة للسلام .

وأبنيك بابين

باباً يُرحبُ بالزائرين

وباباً يصدُّ جيوشَ الظلام

وأبنيك بُرجين

بُرجاً يربُّ رفوفَ الصُّقورِ

وبُرجاً يربُّ رفوفَ الحمام

وأبنيكِ فرعين ..

فرعاً يُقطرُ سماً زُعافاً

وفرعاً يُقطرُ حلوَ المدام

وأبنيكِ بسمَةَ طفلة

ووجهَ شهيدٍ
وضحكةً ثكلى
وأقمارَ عشقٍ
وساحاتِ أنسٍ
ودُنيا غرامٍ
وأبنيكِ قلبَ نبيٍّ رحيبٍ رحيبٍ
وأبنيكِ ليلَ انتقامٍ .
وأبنيكِ صدرَ الحياةِ الدَّفِيءِ
وقلبَ الوجودِ البريِّ ..
هنا نقطةُ البدءِ ..
والبدءُ مسكُ الختامِ .
وأبنيكِ .. أبنيكِ .. أبنيكِ ..
تابعَ وهو يردُّ العباءةَ عن كاهليهِ

ويجلسُ تحتِ ظلالِ النخيلِ المُجرِّحِ .

فوقِ نشيجِ الرُّكامِ .

هنالكَ مدٌّ قواماً طويلاً جليلاً

تثاءبَ .. مسدَّ لحيتهُ اليعرُبيَّةُ ،

أغمضَ عَيْنًا ..

وفتَحَ عَيْنًا ..

ونشَّ الذُّبابَ ونامَ ...

(ليلة ١٩ / ٢ آذار ١٩٩١)

عنتره وعبله

وعقم المرحلة .. !!

بوحٌ على طللٍ وطيفُ حبيبتِي أملٌ يُجمَعُنِي ،
وينثرُ حوليَ البيداءَ نخلًا ..
كان ظلُّها وظلُّني ..
بوحٌ على طللٍ يوزَعُنِي
فيجمعُ حوليَ البيداءَ خارِطَةً أسائلُها
أين الحبيبةُ يا تُرى أرختُ جدائلُها
يا ليتَ حُكمًا بالفراقِ المرَّ أمهلني وأمهلها .
ماذا أقولُ وقلبي خلف راحلتي ،

زِقُّ مِنَ الْأَحْلَامِ مَرْهُونٌ عَلَى شَفْتِي لَوْنُ اللَّيْلِ

رَمْلٌ فَوْقَ ذَاكَرْتِي ..

أَمْضِي ..

وَهَذَا الْجُرْحُ مَسْمُومٌ يُقْبَلُ فِي نَعَاسِ الْمَوْتِ خَاصِرْتِي .

كَيْفَ الْمَزَارُ وَلَيْلِي رَاحِلٌ أَبَدًا ،

وَحَبِيبَتِي عَطَشٌ يَرَابِطُ فِي دَمِي

وَحَبِيبَتِي مَلْحٌ يَكْرِكُرُ فِي فَمِي

وَحَبِيبَتِي قَيْدٌ تَعْلَقُهُ الْفَوَادُ فَرَاخٌ يُثْقِلُ مَعْصَمِي

وَأَنَا (الْمَغْلَسُ) تَشْهَدُ الْبِيدَاءُ وَالْفَرَسَانُ تَأْكُلُ مَا

تُلَقِّطُ مِنْ مَحَاقِ الْجِلْدِ ضَوْءًا قَدْ تَنَاطَرَ فَوْقَ لَيْلٍ بِيَاضِهِمْ

وَأَنَا الْمُغِيرُ أَنَا الْمَجِيرُ وَهُمْ نِيَامٌ كَالشَّيَاهِ أَحْطُ

مِنْ صَلْفِ الْغَزَاةِ، وَهُمْ سَكُونٌ كَالْمَوَاتِ أَذْبُ عَنْ

أعراضهم ..

فإذا صحوا يتشاءبون من الهوانِ ولا يرونَ سوى

سوادي ..

يتساءلُ الأعرابُ : ماذا .. كيف .. لستُ أجيبهم

قلبي الضَّلُولُ وحبُّ عبلةٍ مُرشدِي ..

من أجلِ عبلةٍ .. آه عبلةٌ ..

حبُّ عبلةٍ مهلكي ومخلدي

وغرامُ عبلةٍ مُطلقِي ومقيدي

ورفيفُ عبلةٍ كالفضاءِ - مُحللي ومُحرّمي ..

”يا دارَ عبلةٍ بالجِواءِ تكلمي

وعمي صباحاً دارَ عبلةٍ واسلمي“

وعمي مساءً كُلِّما نفضَ الفؤادُ جناحَهُ

ما قيمةُ الحُبِّ الكبيرِ أو الصَّغيرِ إذا عَفَتَهُ رياحُهُ

نوحٌ على طللٍ ، «تقادم عهدُهُ»
أقوى وأقصر بعد أمِّ الهيثمِ

فحملتُ قلبي واستعنتُ بنايحٍ وبمنسَمِ

وطلبتُ ربعكِ والتُّلُولَ وخلصني

أقوى على هجرِ الحبيبِ الملهمِ .

ورجعتُ لونا قد تكاثفَ لونهُ

فلتقبلوني سيداً أَلجُ الخيامَ مُكرماً

يا عبلَ دونكِ فاحكمي .

حلُمٌ على طللٍ يفرقُني ويجمعُ حولي البيداءَ ميلاداً

تقاسمَ سُمرتي موتاً ،

تباطأً عند لوني كي يُطيلَ العُمَرَ عمداً

أو يُطيلَ العُمَرَ قيداً .. أين موتي ؟ !

أَيْنَ أُمِّي ؟! كَدْتُ أَنْسَاهَا
دَعُوا قَلْبِي يَعَانِقُهَا وَيَغْرِقُ فِي لَمَاهَا .
وَأَبِي سَلِيلُ الذُّبِّ يَنْكُرُ أَنْ سَبَاهَا
وَيُذَلُّهَا وَيُذَلُّنِي جُبْنًا ، وَيَلْعَقُ مِنْ دِمَائِي ،
ثُمَّ يَلْعَقُ مِنْ دِمَاهَا .
أَقْبِيلَةٌ تَغْفُو عَلَى مَكْرِ الدُّهَاءِ ،
وَتَرْتَمِي فِي حِضْنِ مَائِدَةِ اللَّثَامِ قَبِيلَةٌ ؟ !!
أَقُولُ يَا قَوْمِي بَنِي أَهْلِي : يُعَذِّبُنِي هَوَانُ نَخِيلِكُمْ
وَدِيَارِكُمْ تَبْكِي عَلَى مَاضٍ تَكَامَلُ كَالْهَلَالِ ،
فَصَارَ بَدْرًا يُونَسُ اللَّيْلَ الْمَجُوسِيَّ الطَّوِيلُ .
وَيَشْدُنِي وَجْعُ الْقَبِيلَةِ ،
أَرْتَمِي مَا بَيْنَ عِبَلَةٍ وَالسَّيْفِ الْمَشْرِبَّةِ وَالصَّهِيلِ

ويهدني خببُ الظعائنِ تطلبُ السُّلمَ الهلاميَّ ،

الهزيلُ ..

السُّلمُ بين العُنقِ والسِّكينِ صنوُ المستحيلِ

والسُّلمُ ضعفٌ إن تمكيجَ بالسَّلامةِ ،

والسَّلامةُ في الهروبِ بلا وداعٍ والرَّحيلُ .

دقُّوا مهابيجَ المقامِ

وأوقدوا نارَ الكرامِ ،

وعانقوا أرضاً أكلتُمُ لحمها قمحاً وعافيةً ونمتمُ ..

.. هل يعيشُ الدرُّ من غيرِ الصِّدْفِ ؟ !

لا تهدروا برّاً ولا بحرّاً ولا جواً توارثهُ الحفيدُ

عن الحفيدِ عن السُّلفِ .

لا تتركوا قمرّاً ولا حجرّاً يطيشُ بلا هدفٍ

لا تتركوا .. لا تهدروا ..
وأقولُ يا قومي سلامٌ من فتى عبسٍ ،
وعبسٌ لا تسامرُهُ ،
وعبسٌ لا تُناصرُهُ ، وتقتلُ شهوةَ الإقدامِ فيهُ
وتصيحُ ها إنني فتحتُ نخاستي ،
مَنْ يشتري عبداً يُجيدُ الكرُّ ، إنا لا نُحبُّ الكرُّ ،
هذي لعبةُ البدويِّ ، نحنُ السادةُ المتحضرونَ ،
وقد خلعنا كُلَّ أعصابِ القبيلةِ ،
واسترحنا في ظلالِ المرجئةِ .
حُزنٌ يعضُّ القلبَ منذ ولادةِ الجرحِ الكبيرِ ،
ويستريحُ على الفؤادِ بكلِّ غيمِ الأويئةِ .
حُزني رحيبٌ كالكتابِ ورُبُّما ،

قتل الكتابُ على الرّحابةِ قارئهُ .
يا حلوةَ العينينِ والشّففتينِ يا فرحَ القبيلهِ
هلاً سألتِ بما تقاتلُ عبسنا ؟!
وبما تجمّعُ من نياشينِ ،
ومن نصرٍ إلى نصرٍ تخلدُ في أساطير العربِ .
هلاً سألتِ بما تفاخرُ نسوةُ الأسيادِ ،
خلفَ خدورهنّ - ولو سألتِ بما تُجاهرُ
كُلُّ ربّاتِ الحسبِ .
إنّ تسألني يُنبئكِ لوني الفلّفلِيُّ وصارمي ..
وسماحتي
ومكارمي ..

«إذ لا أزالُ على رحالةٍ سابحٍ
نَهْدُ تَعَاوُرَهُ الكِمْاءُ مُكَلِّمٌ»
ولتأْمُرِي ..

«يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعَةَ أَنَّنِي
أَغْشَى الوَغَى وَأَعْفَى عِنْدَ المَغْنَمِ»
لا تظلمي ..

هُم يَظْلَمُونَ إِذَا أَقَمْتُ وَإِنْ رَحَلْتُ
وَإِنْ كَرَرْتُ وَإِنْ فَرَرْتُ وَإِنْ أَجَرْتُ مُنَاجِدِي ..
وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ الجِوَادِ ،
وَبَيْنَ غَابَاتِ الرِّمَاحِ المِشْرِيبَةِ سَيِّدٌ !!
وَأَنَا بَبَابِ السَّلْمِ ، وَقَتَ السَّلْمِ ،
أَسْتَجِدِي عَيُونََ السَّيِّدِ .

فَلتَشْهَدِي ..

إِنِّي سَمِمْتُ مِنَ الْوَعُودِ مَعَ الْمَسَاءِ
سَمِمْتُ مِنْ غَدْرِ يَجِيءُ مَعَ الصَّبَاحِ
فَأَنَا أَعِيشُ الْيَوْمَ مَحْمُولاً عَلَى قَمَمِ الرَّمَاحِ
وَأَسِيرُ مِنْ طَلَلٍ إِلَى طَلَلٍ وَيُثْقَلُنِي الرَّجَاءُ ،
فَلَيْسَ عِنْدِي غَيْرُ أَحْلَامِي ، وَأَحْزَانِ الرَّحِيلِ ،
أَسِيرُ مِنْ حُلْمٍ إِلَى حُلْمٍ وَيَتْبَعُنِي غَدِي .
سَمِمْتُ جِرَاحِي مَلْحَ أَعْدَائِي ،
وَحَمَحَمَ أَدْهَمِي تَعَبًا ،
وَهَذِي الْبِيدُ شَدَّتْ فَوْقَنَا لَيْلًا حَزِينَةَ الْأَنْجُمِ .
مَا هَمَّنِي ظُلْمُ الْقَبِيلَةِ وَالْحَيَاةِ .. وَهَمَّنِي
أَنْ تُسْقِطِي نَثَّ النَّدَى فَوْقَ الْجِرَاحِ

فليسَ أحلى من رموشكِ تستريحُ على يدي .
إنِّي حملتُكِ طائِعاً ..
جُرْحاً يعانقُه دمي
الليلُ أظلمَ يا عُبيلَ وليسَ عندي ما أقولُ ،
فهلَ لديكِ ؟ ! تكلمي ،
أو فاتركي لوني يُخالطُ ظِلْمَةَ الليلِ الطويلِ المُعتمِ
الليلُ أمسى مؤنسي ومُكلمي ..
هذا السّوادُ أحبُّه ..
فلقد سئمتُ بياضَ أحلامي
وهذي البَسْمَةُ الجوفاءُ تسري في مسامي كالبرصِ
ولقد جمعتُ رُفوفَ أحلامي -
لماذا تُطلقُ الأحلامُ كالزرزورِ يغزو ،

زرقاة الأملِ الكئيبةِ ،
ثمَّ يُسجنُ في قفصٍ ؟!
والإمَّ أنتظرُ السرابَ ،
فكلُّما قرُبَ المزارُ أراهُ يبعُدُ ثمَّ يبعُدُ ،
ثمَّ يبعُدُ كالصدى ..
ثوري على هُبَلٍ وسيري بين حدِّ العُمُرِ ،
والبيدِ الهجينةِ والمدى .
أنا في انتظارِكِ يا عُبيلَ دعي القبيلةَ واتبعيني
فأنا فتاكِ وخيرُ ما حفظَ الرواةُ عن (المغلِّسِ)
أنَّ أقامَ الكونَ في وَضَحِ الزَّمانِ وأقعدا .
أنا في انتظارِكِ يا حبيبةُ
أو أموتَ على الجوى مستشهدا .

سنظّلُ أغنيةً على شفةِ الزّمانِ ،
وقد تمايلَ مُنشداً .
اللّحنُ أنتِ وإنني يا عبَلُ ...
ظلُّ الصّوتِ ،
.. أو رجَعُ الصّدَى ...

البقيعة/الجليل ٤/١٢/١٩٩١

كلمات مالحة في زمن صالح

ليس عندي من كلام الحبُّ
إلا كلمات مالحة .

خابَ ظنِّي

فأريجُ اليوم لا يحكي أريجَ البارحة .
هددَ القلبُ ،

ونامتُ في سكونٍ

ذبذباتُ الاجنحة .

ومضي الحلمُ جريحاً ...

ليت أحلامي طيورٌ جارحة .

لا تلمني يا صديقي

كدت أنسى

كاد ينسيني بريق الوهم أحزاني ،

وأنفاس الجليل الموجهة .

لا تلمني ..

فأنا في ضحكة اللوز مقيم

وكأني عابر أجتر أحلام السبيل المُسرعة

وأنا وجه جميل شوّهته الأقنعة .

لا تلمني ..

لا تقل كان ..

فإني أجمع الأشلاء في صدري

وألقيها زهوراً - من قرون - فوق قبري

لَيْتَ بَابَ اللَّهِ مَفْتُوحٌ لِعَصِيَانِي وَكُفْرِي

يَا إِلَهِي !!

إِنَّ قَلْبِي مِنْ زُجَاجٍ هَلْ أَذْرِيهِ شَظَايَا ؟!

وَحَيَاتِي لَوْلَبُ الْبُؤْسِ وَأَحْزَانِي مَرَايَا

وَعُرُوسِي رَبَّةُ الْحُسْنِ وَلَكِنْ

بَيْنَ رَكَبٍ مِنْ سَبَايَا .

أَبْحَرَ الْيَأْسُ بَعِينِي ...

يَا فَتَاتِي

لَا تَقُولِي أَيْنَ يُلْقَى ذَلِكَ الرُّيَانُ مَرْسَاءً

فَيَنْتَحِرُ الرَّحِيلُ .

ضَاقَ وَجْهُ الْأَرْضِ عَنِ شَكْلِي

وَعَنْ لُونِي وَصَوْتِي

وقرأتُ النَّعْيَ في أَناتِ أُمِّي يومَ ميلادي
وفي صمتِ النَّخيلِ .

قد طواني الشُّوقُ مندبلاً حُريراً
فكفكفُ دمعَكَ الصُّوفِيَّ يا وَرَدَ الجليلِ
هذه الصُّفْرَةُ لا تشربُ حُزني
وأنا من غيرِ حُزنٍ لا أغني
لا أغني ..

فاعذريني يا عروسَ الشَّعرِ إن غنيتُ في جَنّازِ أحلامي
وإن ضاجعتُ في شوقِ جنوني
واحلمي حُزني لبابِ الرُّوحِ قريباً
ونامي في ظُنوني
ليس عندي غيرُ أشعاري

وعجزي ،

ونحيبُ العاشقِ العُدريِّ إذْ يقرعُ بابي

رحمَ الله صباحاً

سوسني العرفِ شهدي اللُّعابِ

كان يسقيني الأمانِي

وأسقيه شبابي

ضاقَ صدري بالأمانِي

وزيفِ الطيبِ ..

إنِّي حاملٌ جرحي على جُرحي وأستحلي عذابي

لا لأنِّي أدمنُ الجُرحَ ولكنْ

قتلوا في براعيمِ التَّصابي

يا مهاتي .

إن تسيري خلف ليلى
أو تجوبي
ألف صحراء وصحراء ،
وألفاً من سهوبي
لن تري ماءً ولا كلاً يدغدغ شهوة الإقدام ،
في نهر حياتي ..
قتلوني قبل أن أنهي صلاتي
دفنوني حين لملمت رفاتِي
قتلوا ليلاي والحُبُّ وشعري
أعدموا كُـلَّ الرُّوَاةِ !!
ثم قالوا : قد قتلناك ؟! معاذَ الله !!
إننا قد أرحنا طفلك البدوي من طول الشتات .

لا تخافي يا مهاتي
ينقلُ الموتى خبراً :
دولةً في حجرٍ .
لا على مرمى حجرٍ
دولةً في دمةٍ
لا على وجهِ القمرِ .
فانهضي يا أمةً تغفو على جوعٍ ،
وتمضي خلفاً راعيها لتسرحَ في الفلاةِ .
الممالكُ على أقحافنا
فاطرحيهم تحت أقدامِ الحُفَاةِ
وارجميهم بخطاياهم فإنَّا
قد سئمنا خشخشاتِ القيدِ في سجنِ الطُغَاةِ

لا زمانُ مالِحٌ يقدرُ أن يغتالَ لحني

لا ولا القمريُّ مقطوعُ اللهاةِ

قتلوني ..

لم أمتُ فارتعدي

يا طوابيرَ الطُغاةِ

خلفَ هذا الليلِ طفلٌ .

يتهجى كلماتي

البقية/الجليل ١٩٩٢/٧/٩

أنا الأرض . . . أنت الأُمير الأخير

عجبتُ من أُمَّةٍ تَأْكُلُ
أطفالها!! إلى أطفال
العراق .. وإلى أطفال
فلسطين .. مع حُبِّي ..

حسين

رجعتَ مع الرِّيحِ حُلْمًا تناثرَ

لستُ أَصَدِّقُ ..

لستُ أَكْذِبُ ..

أين وصلتَ مع الحُلْمِ يا ابن الشُّقاءِ

١..

وأين تركتَ جوادك ،

سيفك

أين دفنتَ سهيل دمائك

إنني انتظرتك كيما تجيء ربيعاً سخياً اليدينِ

وصيفاً كريماً

فكيف رجعتَ على راحتينِ بقايا مُقاتلِ؟!

وإنني انتظرتك كيما تجيء صباحاً جديداً ،

وسرباً عناداً ..

لماذا رجعتَ قصائدَ تحملُ ملحَ الرثاءِ

وطعمَ البُكاءِ ،

وحُزنَ الجدائلِ؟!

أحبُّك ..

إني أحبُّكَ يا ابنَ الشُّقاءِ
فدعني أقبلُ جراحَكَ قبلَ انطفاءِ الحياةِ
وهذي جراحُكَ تنطقُ - لستُ أباغُ
هذي جراحُكَ تنطقُ كالترجُّمانِ
وتحكِّي حديثَ الهزائمِ للعائدينِ
وترسُّمُ فوقَ غضونِ الزَّمانِ
خرائطُ تحملُ نعيَ الوطنِ .
رجعتُ معَ الرِّيحِ جرحاً يُكابِرُ ،
قلباً يُكابِرُ
وجهاً حزيناً ولكنَّ يكابِرُ
إني سألتُكَ أنْ تستريحَ قليلاً
وتتركَ هذي الجراحَ لتغفو قليلاً ..

لماذا تُكابِرُ

لستَ المحاربَ قبلَ الأخيرِ

ولستَ الأخيرَ . ترجُلُ !!

إلامَ يظلُّ حصانُكَ يجمَحُ خلفَ حدودِ الزَّمانِ

وهذا زمانُ الهوانِ

وكُلُّ الفوارسِ ألقوا سروجَ الطَّعانِ

وصارتُ خيولُ المعامعِ ،

كُلُّ الخيولِ خيولُ رهانٍ .

فليسَ سهيلُ الجيادِ سهيلاً

وليسَ صليلُ السِّيوفِ صليلاً

فكُلُّ سهيلٍ بهذا الزَّمانِ

وكُلُّ صليلٍ حفيفُ

وليسَ الشّتاءُ شتاءً
وليسَ الرّبيعُ ربيعاً
فكلُّ الفُصولِ خريفٌ .
ترجّلُ ..

أراكَ تعبتَ

لماذا تُكابِرُ ..

كُلُّ الخيولِ التي قد ركبتَ طواها اللُّهاتُ
وعادتُ تُحممُ حُزناً عليكُ .
وكُلُّ السيوفِ التي قد شهدتُ
تعودُ لتُغمَدَ في مقلتيكُ .
لماذا تُكابِرُ ..

كُلُّ الرّياحينِ تشهدُ أنّكُ ، أنتَ الأميرُ الأخيرُ

سقطت ..

وكانت يداك تشدّانِ حبلَ الحياةِ القصيرَ
وكانت جراحك تصرخُ خلفَ صفيرِ الرّيحِ :

إلى أينَ تجري خيولُ الهوانِ ؟!

تعالوا : فهذا جوادِي وذِي رايتي

وشدّوا على سرجها قامتي

ولا تتركوا هامتي للّمزادِ !!

تعالوا : فإنّي سقطتُ وهذي دمائي وذا قاتلي

ولستُ أحبُّ ثيابَ الحدادِ

فإنّ ثيابَ الحدادِ غرائزُ تطفئُ جمرَ الجهادِ .

لماذا تُكابِرُ ..

كُلُّ الزّناةِ رأوكِ

وَكُلُّ الَّذِينَ رَأَوْكَ زُنَاةً تَبَاكَوْا عَلَيْكَ ،
وعادوا إلى حفلة العُرِّي ،
عادوا إلى صهوة النهْدِ ..
ههنا الكرُّ والفرُّ ..
ههنا ساحة المجدِ ،
نِعْمَ الجهادُ بكأسٍ ونَهْدٍ على ليلةٍ كافرهُ !! .
فَضَعُ راحتيكَ على جانبيكَ
وسبِّلُ جفونِكَ
آنَ الأوانُ لتغفوَ قليلاً على ضِفَّةِ الجُرْحِ ،
أنتَ الأميرُ
ونحنُ قطيعُ نُسَمْنُ طولَ شهورِ الصِّيَامِ
لنُذَبِحَ بعدَ صلاةِ العِشاءِ

ونضحكُ عند بريقِ الشَّفَارِ
ونسلمُ عنقًا برُخصِ الى مُدِيَةِ جازرهِ !
فنحنُ على حُزننا أُمَّةٌ صابِرهُ .. !!
ونحنُ ، الرِّعَاعُ

تركناك ..

تأكلُ وحدكُ

تشربُ وحدكُ

تلعبُ وحدكُ

تفرحُ تحزنُ تغضبُ وحدكُ ،

كُنْتَ تصارعُ صمتًا ثناقلَ فوقَ الجباهِ

وثلجًا تراكمَ فوقَ القلوبِ

وشوكًا تكدّسَ فوقَ الدُّروبِ

وَكُنَّا عَيُونًا تَحْدَقُ حِينًا

وَحِينًا تُبَسِّمُ ..

كُنْتَ .. وَكُنَّا

وَهَا أَنْتَ فَوْقَ رُؤُوسِ الرِّمَاحِ

خَلَعْتَ ثِيَابَكَ قَبْلَ الْوَضُوءِ الْأَخِيرِ

وَنَحْنُ نَحْدَقُ فِيكَ ..

نَعْدُ جِرَاحَكَ .. ثُمَّ نُحَوِّقِلُ ..

ثُمَّ نَعْدُ ...

وَكَانَتْ فَتَاةٌ لَعُوبٌ تَحْدَقُ فِي خِصِيَّتِكَ ،

تُحْدَقُ .. تَبْسِمُ

ثُمَّ تَحْدَقُ ..

- مَاذَا تَرِيدُ فَتَاةٌ بِهَذَا الْوَقُوفِ الْمُرِيبِ

وَأَنْتَ الشَّهِيدُ الْمُدَّدُ بَيْنَ الْجِرَاحِ

وَصَمَّتِ الرَّعَاعَ ..

أَلَيْسَتْ جِرَاحُ الشَّهِيدِ شَقَائِقُ تَحْمَلُ لَوْنَ الدَّمَاءِ ،

وَطَعْمَ الشَّجَنِ ؟!

فَرِحْتُ لِأَنِّي وَجَدْتُ عَيْونًا تُحِبُّ الشَّقَائِقَ ،

صِحْتُ : تَعَالَى نَقْبَلُ جِرَاحَ الشَّهِيدِ ،

فَإِنَّ جِرَاحَ الشَّهِيدِ تُفْتَحُ وَرَدًا ،

إِذَا مَا بَكَتْهَا عَيْونُ الْعِذَارَى ،

سَأَلْتُكَ أَلَا تَجِفُّ الشَّقَائِقُ فَوْقَ! جَبِينِ الْوَطَنِ .

فَأَلْقَتْ عَلَيَّ خَطَابًا بَدِيئًا وَقَالَتْ :

نَعْلَمُ أَصُولَ الْبَيَانِ

وَفَهَمَ عَيْونَ الْحَسَانِ

فلستُ أحبُّ الرثاءَ
ولستُ أجيدُ البُكاءَ
ولكنُ عَجبتُ لذي خِصيتينِ ،
فنحنُ بهذا الزَّمانِ نُخنثُ مِنَّا الوليدَ
ونبصقُ فوقَ جراحِ الشهيدِ ونمضي الى حانَةٍ ،
فاجرهُ !!

*

كأنتَ لستَ لهذا الزَّمانِ
كأنتَ لستَ لهذا المكانِ .
أتيتَ كضيفِ المساءِ
أتيتَ سهيلَ جوادٍ مغامرٍ
وكنْتَ هديلَ اليمامِ المهاجرِ .

لماذا أتيت لأرضِ اليبابِ
وتعلمُ أنا قتلنا الصِّباحَ
وكلُّ صباحٍ يُحرِّكُ فينا ركودَ الحياةِ
لماذا أتيتَ؟!
وتعلمُ أنا سنقتلُ سربَ العنادلِ
في مقلتيكُ .
وأنا سنذبُّ ذاك الجوادَ الأصيلَ
على ركبتيكُ؟!
وسيفكُ سوف يُعلقُ للزائرِينِ
كشيءٍ قديمٍ تصدَّعَ شوقاً إليكُ ..
لماذا وُلِدتَ أميراً شقيماً
وتعلمُ أنني أخافُ كثيراً ، كثيراً عليكُ.

لماذا رجعت مع الريح حلماً تناثر

لستُ أصدقُ

لستُ أكذبُ

هذي الدموعُ تجاهرُ أنني أحبُّك

يا ابنَ الشقاءِ

فدعني أقبلُ جراحك حيثُ تنامُ

لأحملَ عنك رفيفَ الخزامُ

وأحملَ عنك وفاءَ الغمامُ

وورداً على وجنتيك ،

وفُلاً تدلِّي .

وغاراً يُكللُ منك الجبينَ ،

وشيحاً ودِفلِي

سألتُ البنفسجَ أين المزارُ
فسبَّحَ بِاسْمِكَ جَهْرًا وَصَلَّى
وقال القرنفلُ أنتَ الربيعُ
إذا ما توارى نراهُ أطلاً .
وكانت عيونُ الزنابقِ تنظرُ نحو السَّماءِ
وتمطرُ دمعاً شديداً السَّوادُ
وصوتُ شجبي يرددُ خلفَ صفيرِ الرِّيحِ
تعالوا : فإنِّي سقطتُ ..
وهذي دمائي ..
وذا قاتلي ..
ولستُ أحبُّ ثيابَ الحدادِ .

تعالوا ..

تعالوا ..

البقيعة/الجليل ١٩٩٢/٩/٩

وداعاً

”ما رأيتُ كالـيوم رجلاً

باعته عشيرته بأبـعـرة ..“

(اعرابية)

وداعاً

فقد آن للقلب أن يحمل الجرح

لافتةً ..

تحرص الدرب ،

ما عاد في العمر مُتَّسِعٌ لانتظار السراب .

وما عاد في الصدر غير صدى ذكرياتٍ
تدور على نفسها ،
ثم تهوي على ضفة الروح طمياً سميكاً
لتدفن سرب الحساسين
في عُجمة الاغتراب .
على صهوة الوهم نام الفؤادُ ،
وها قد مضت رحلة العمر في سفن الحُزنِ ،
لم يبق لي غيرُ بعض الهزيع الاخيرِ ،
ولم يبق من نرجس الحلم غيرُ مزاميرِ اِثمٍ
على كومةٍ من ضبابٍ
أحقاً من الحزن جاء الفؤادُ ؟ !
أحقاً الى الحزن سوف يعود - من الطين لِلطينِ -

هل يسمع الازدرخت نشيج العنادل ،
قبل الرحيل الكبير ولا يشربُ الدَّمْعَ ،
نخب انتحار السُّحابُ ؟
لقد ضاق بِالزَيْفِ سربُ الفراشِ اليتيمِ
فأين وضوح الخزامى ..
وأين البدايات حيثُ العناكبُ
لا تنسج الغدر في قبلةٍ لاهبهُ
تعبت من العشق في موسم الكُرهِ ،
أين الصباح يشدُّ انتمائي
الى حقبة غاربهُ
سلامٌ على حقبتى الغاربهُ
سلام على فارسِ فِقَاتِ مُقْلَتِيهِ

سنايكُ افراسه الهاربه

تعبتُ ...

وقد آن للقلب ان يلفظ الملح ،

قبل العشاء الأخير ،

ويرزح تحت فحيح الافاعي صعوداً ،

الى روعة الجلجثة

هنالك يبدأ لحناً جديداً خفياً ..

ويدفن الحانه الصاخبه

تعبتُ

فما عاد في القلب متسع لامتصاص الحراب

وما عاد في العمر متسع لانتظار السراب

وداعاً ..

(البقيعة/الجليل، ١٢ ايار ١٩٩٣)

في حضرة المعتصم

(١)

تعبتُ سنايكُ خيلنا ..
والبيدُ تطوي البيدَ ،
أينَ الواحةُ الكبرى ..
سئمنا ظلِّنا المشويَّ فوق الرَّمْلِ ،
ليتَ الرَّمْلَ بحرٌ كي يخلِّصَ نخلنا
من نخلنا البريِّ ..
هل أبكي على إيقاعِ قافلتني
وأظلُّ أطوي البيدَ ،

أشهرُ سيفي الخشبيُّ
أبحثُ عن طواحينِ
وقلبي خلفَ ظلي
يدرسُ التاريخَ كالشطرنجِ مرّاتٍ
تساوره انتصاراتُ ..
ومراتٍ تحاصره الظنونُ .

(٢)

تعبتُ سنايكُ خيلنا
وسيوفنا انتحرتُ كما طلبَ الغزاةُ ،
رماحنا ورقٌ ومحبرةٌ واقلامُ

نَسْجَلُ ذُنُنَا حَبْرًا عَلَى وَرْقٍ ،
نُوقِعُ مَا يَشَاءُ وَوَلَاتُنَا الْمُتَسَامِحُونَ ،
مَعَ الْغَزَاةِ الْفَاتِحِينَ .
وَنَظَلُّ نَجْتَرُ الْكَلَامَ
وَنَحْتَسِي قِصَصَ الْفُتُوحِ
نُنَشِطُ الْقَلْبَ الضَّعِيفَ بِسَيْفِ سَيْفِ اللَّهِ
وَالْجَيْشَ الْمُحَمَّلَ بِالرِّسَالَةِ
يَزْرَعُ الْأَرْضَ انْتِصَارَاتٍ طَوَاهَا اللَّيْلُ
عَشْنَا فِي عِبَائِهَا قَرُونًا
لَا نُبَارِحُ دَفْنَهَا السُّحْرِيَّ
يَغْزُو قَمَحَنَا تَتْرُ وَمَنْغُولٌ وَاتْرَاكٌ
فَنَفْتَحُ لِلْغَزَاةِ بِيوتِنَا وَصَدُورِنَا

ونصدُّ عن اهدابنا مطر الحضاراتِ القديمةِ

والحديثِ ..

إننا عربٌ وتحت جلودنا نفطٌ وأحقادٌ وجنسٌ

وشعارُنا : الماءُ والسراءُ

والحِصْنُ الحنونُ.

(٣)

«السيفُ أصدقُ ..»

كانَ يا ما كانَ .. عُذراً

ليسَ فينا مَنْ يُحبُّ الحربَ

إنَّا قد شربنا نخب موتانا

وصلينا على فردوسنا المفقود .. آه

إننا من بيئة النفس الطويل ،

وسوف ينضجُ تيننا ، فلمَ التَّعَجُّلُ ،

سوف ينضجُ تيننا شيئاً فشيئاً ،

بالتَّفاوضِ ..

نستعيدُ الأَمْسَ

والفردوسَ ..

هذا وعدنا يمشي مع التاريخ جيلاً

ثمَّ جيلاً .. ثمَّ جيلاً

لا تُنسى القرونُ ..

(٤)

يا سيدي ..
ما جئتُ أطلبُ سيفكَ العربيُّ
أو ذاكَ الجوادَ الحرُّ،
أو رُمحاً رُدِينياً ،
فإنَّا سادةٌ متحضرونُ .
وحرورنا خُطبٌ منمَّقةٌ
واحلامٌ تُراوِدُ طيبةَ الفقراءِ ..
والصلواتُ مدفَعُنا الثَّقيلُ
ما جئتُ اقطفُ عن جبينك نرجساً
أو نجمةً ..

او فضة المجد الأثيل .
ما جئتُ ألقى نظرةً أخرى
على اطلالِ عموريةِ الذكري ..
ما جئتُ أنعشُ خاطري بمواكبِ الأسرى
أو جئتُ استجدي عيونك بالمديحِ الفجِّ
او نحت المعاني ..
قد جئتُ أسألُ صمتكَ الأبديُّ
هل حقًا تجرّدُ جيشكَ الملكيُّ
منتصرًا لصرخةِ إمراه؟!
يا سيدي ..
ما كنتُ تفعلُ لو بعثتُ ..
فعندنا ..

في كُلِّ يومٍ تستغيثُ برَبِّها
ألفُ امرأةٍ !!
وولاتُنا
تتعطلُ الاسماعُ منهمُ
والعيونُ .

(٥)

نمُ هانئاً يا سيدي !!
تعبتُ سنايكُ خيلنا
صدئتُ سفارُ سيوفنا
بردتُ مواقدُ حربنا

والذلُّ

أسلمُ

ما

يكونُ ..

(البقيعة - ١٢ حزيران ١٩٩٣)

الفهرس

- (١) لعنةُ الصم ٥
- (٢) عوضٌ يستردُّ صباه ١٩
- (٣) حبيبتى وسيوف الغزاةِ وبعضُ الكلمات ٣٨
- (٤) شظايا ٥١
- (٥) أبو جعفر المنصور ينشُّ الذباب عن لحيته ٦٤
- (٦) عنترَةٌ وعبلةٌ وعقمُ المرحلة ٧٩
- (٧) كلمات مالحة في زمنٍ مالح ٩٢
- (٧) أنا الأرضُ .. أنتَ الأميرُ الأخير ١٠٠
- (٨) وداعاً ١١٥
- (٩) في حضرةِ المعتصم ١١٩

صدر للشاعر

١. وطني ينزفُ حُباً - شعر - ١٩٧٨ - الأسوار/ عكا.
٢. وطني ردُّني الى رُباك شهيداً - قصص - ١٩٨١ - الأسوار/ عكا.
- ٣- أموت قابضاً حجراً - شعر - ١٩٨٦ - الأسوار/ عكا.
- ٤- تَمْتَمَاتُ آخر الليلِ - شعر - ١٩٨٨ - الأسوار/ عكا.
- ٥- قابضونَ على الجَمْرِ - شعر - ١٩٩١ - مطبعة ابو رحمون/ عكا.
- ٦- حديثُ الحواسِّ - شعر - ١٩٩٢ - مطبعة ابو رحمون/ عكا.
- ٧- أنتِ سببُهُم... وشِعْري نَحيبُ العاجزِ - شعر - ١٩٩٣ - مطبعة ابو رحمون/ عكا.

بلادي ..

أراكِ الحبيبة

والحكْمُ بالموتِ حَبْلُ

يَلْمُ سَنَابِلَ عُمري

وَإِكْلِيلَ شوكِ يُطَوِّقُ عُنُقِي

وَأَطْمَعُ فِيكَ عروساً

تُزَقِّينَ لي يومَ شِنقي ..

حسين